

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
٨ / جمادى الثاني ١٤٣١ هـ
قل آمنت بالله ثم استقم

إن الحمد لله.....، أما بعد:

أخي الحبيب إعلم رحمك الله : أن المسلمين اليوم وهم يمرون بمرحلة عصبية من مراحل تاريخنا المعاصر، وتكاد تغلب في هذه المرحلة عوامل اليأس، ومشاعر الإحباط، بأمس الحاجة إلى التمسك بالدين، والاستقامة عليه، والعض عليه بالنواجذ، خصوصاً وزماننا الذي نعيش فيه زمن مخيف، لكثرة انتشار الشبهات والشهوات التي تعصف بصاحب الإيمان فكيف بغيره، ومصداق هذا كله مشاهد ملموس في واقع الناس، فبينما ترى الرجل من أهل الخير والصلاح، ومن أهل التقى والفلاح، قلبه بطاعة ربه مشرق سليم، إذا به انقلب على وجهه، فترك الطاعة وتقاوس عن الهدى، إن تذكر هذا الأمر لتطير له أبواب العقلاء، وتنفطر منه قلوب الأتقياء، وتتصدع له أكباد الأولياء، كيف لا، والخاتمة مغيبة والعاقبة مستورة، والله غالب على أمره،

فعن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق فقال: (فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) متفق عليه. فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه ، فأوضاعنا اليوم تختلف تماماً عما كان عليه المسلمون الأوائل ، فلا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول ، وأقرب هذا في مثل لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان - إن شاء الله تعالى- : فما كان يومئذ ميسوراً ليس ميسوراً اليوم من حيث صفاء العلم وثقة مصادر التلقي ، لهذا لا بد من ملاحظة هذا الأمر والاهتمام به كما ينبغي مما يتناسب مع المشاكل المحيطة بنا اليوم بصفتنا مسلمين ، والتي لم تُحط بالمسلمين الأولين من حيث التلوث العقدي الذي سبب إشكالات وأوجد شبهات من أهل البدع المنحرفين عن العقيدة الصحيحة منهج الحق تحت مسميات كثيرة ، ومنها الدعوة إلى الكتاب والسنة فقط ! (دون فهم السلف) كما يزعم ذلك ويدعيه المنتسبون إلى علم الكلام . وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول ، ولا شك أن غربة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خال من كل شائبة ، بين كفر بواح وإيمان صادق ، أما الآن فالمشكلة بين المسلمين أنفسهم فأكثرهم توحيد مليء بالشوائب ، ويوجه العبادات إلى غير الله ويدعي الإيمان ؛ هذه القضية ينبغي الانتباه لها أولاً - الكتاب : التوحيد أولاً يادعاة الإسلام ص ١٧-١٨ المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني

أخي الحبيب يجب عليك أن تجتهد في أخذ أسباب الثبات والاستقامة على الدين، فإن المقام جد خطير، والنتائج لا تخالف مقدماتها، والمسببات مربوطة بأسبابها، وسنن الله ثابتة لا تتغير.

أخي الحبيب: إننا في هذه العصور أحوج ما نكون إلى معرفة أسباب الثبات، والأخذ بها، فالفتن تترى بالشبهات والشهوات، والقلوب ضعيفة، والمعين قليل .

وقد أخبر النبي -ﷺ- عن سرعة تقلب أهل آخر الزمان لكثرة الفتن،

فقال: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع

أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل). (أحمد ومسلم والترمذي) عن أبي هريرة

فكما يحرص المسلم على معرفة أسباب الهداية (التي يحتاج إليها أولاً وأخيراً)، فيجب أن يكون أحرص على معرفة عوامل الثبات على دين الله (التي يحتاج إليها ثانياً مع معرفة أسباب الهداية وبعضها مشترك لأن الثبات على دين الله حتى الممات هو ثمرة الهداية، وهو الضمان بإذن الله للحصول على الجنة والمغفرة

وما أتعس المرء وأقل حظاً حين يذوق طعم الإيمان، ثمّ يترك بعض أسباب الثبات ليغرق في أحوال الإثم والمعصية، وربما يؤدي بعضها إلى الردة والخروج من الإسلام كما حصل والعياذ بالله. فما أحوَج المرء في زمن العُرْبَةِ إلى التّعريفِ على عواملِ الثبات، وذلك لفسادِ كثيرٍ من الناس، وندرةِ الإخوان، وضعفِ المُعين، وقلةِ الناصر، بل ولكثرةِ حوادثِ النكوصِ على الأعقاب. وفي ظلِّ هذا التشكيكِ الخفي في دين الله من قبل الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا عبر وسائل الإعلام المختلفة، تبرزُ الحاجةُ إلى معرفةِ عواملِ الثبات، بل وفي ظلِّ مُغرياتِ الحياةِ الدنْيا، واختلاطِ الحقِّ بالباطل، وضعفِ اليقين، وغربةِ الدين، وندرةِ الصالحين تكونُ الحاجةُ أشدَّ. إن صفة الثبات على الإسلام والاستمرار على منهج الحق نعمة عظيمة حبا لله بها أوليائه وصفوة خلقه، وامتن عليهم بها، فقال مخاطباً عبده ورسوله محمداً -ﷺ-: {وَلَوْلَا أَنْ نَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: ٧٤].

إن الثبات على دين الله دليل على سلامة المنهج، وداعية إلى الثقة به بعد الله، كما أن الثبات على الدين من أسباب النصر والتمكين والطريق الموصلة إلى المجد والرفعة. والثبات طريق لتحقيق الأهداف العظيمة والغايات النبيلة، فالإنسان الراغب في تعبيد الناس لرب العالمين، والعمل على رفعة دينه، وإعلاء رايته لا غنى له عن الثبات، قل أمنت بالله ثم استقم. أيها الأخ الحبيب: إن الثبات يعني الاستقامة على الهدى، والتمسك بالتقى، وقصر النفس على سلوك طريق الحق والخير، والبعد عن الذنوب والمعاصي، وصوارف الهوى والشيطان، وإليك أخي المسلم بعضاً من العوامل التي تُعينُ بإذن الله على الثبات على الدين والاستقامة عليه. فأسأل الله أن يثبتني وإياكم وإخواننا المسلمين على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح إنّه جواد كريم:-

العامل لأول: العلم الشرعي القائم على الدليل الصحيح

أن العلم النافع يعصم صاحبه بتوفيق الله من الانحراف والضلال، ويحميه من الوقوع في البدع والمحدثات، والشركيات والضلالات، ويحمّله على تعظيم الشعائر والحرّمات، والتجافي عن المنكرات والموبقات، بخلاف العابد الجاهل، فإنه قد يقع في شيء من هذه المخالفات بسبب جهله، وربما يتقرب إلى الله بما لم يأذن به الله، كحال عباد النصارى، ومن شابههم من جهلة عباد المسلمين الذين يتعبدون بالبدع والمحدثات، أو يتقربون إلى أصحاب القبور بأنواع القربات، ويشركون بالله تعالى، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة). رواه الترمذي . (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٢٩٨ في صحيح الجامع . فطلب العلم سبب من أسباب الثبات وحسن الخاتمة ودخول الجنة وغير ذلك .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت (تلا رسول الله - ﷺ - هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أماناً به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) قالت: فقال رسول الله صلى الله (فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم). متفق عليه.

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (إن ناساً يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل)

وخرَج ابن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق)).
والمراد بالعتيق- العلم الأول الذي جاء عن النبي - ﷺ - وأصحابه

العامل الثاني :- الأخذ بفهم السلف الصالح الثلاثة القرون المفضلة

قال الله - عز وجل - مخاطباً أصحاب النبي - ﷺ - : { فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ }

قوله تعالى { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً }.

وقال تعالى { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه } فوعد الله عز وجل من اتبع غير سبيله بعذاب جهنم ووعد متبعه بالجنة والرضوان .
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته .(متفق عليه) .

في حديث العرباض بن سارية الطويل ((فإنه من يعيش منكم فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))(١)

فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أمته بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين وذلك عند وقوع الاختلاف والتفرق كما جاء في وصف الفرقة الناجية في حديث الافتراق قوله عليه الصلاة والسلام ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) فمتبعهم يكون من الفرقة الناجية والمبتعد عنهم يكون من أهل الوعيد .
من أقوال السلف :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)) رواه النسائي، حجة النبي ﷺ -
للألباني أخرجه وكيع في الزهد (٣١٥) وأحمد (١١٠/٢) والدارمي (٢١١) وابن وضاح (١٣)
وعنه أيضاً ((إنا نفتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر))
أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (... : ١١٥-١٠٦)

وعنه أيضاً رضي الله عنه ((من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .
أخرجه أبو نعيم

في الحلية ، وابن عبد البر جامع بيان العلم

الأوزاعي ((اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك

سبيل سلفك الصالح فإنه يسلك ما وسعهم)) .(الآجري في الشريعة (ص ٥٨)

قال الإمام مالك رحمه الله: (لا يُصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله) .

العامل الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بما فيهما ويندرج تحت هذين الأصلين الاقتداء بسلف

الأمة الصالحين.: فالقرآن الكريم حبلُ الله المتين، والسنة النبوية مكملَةٌ للقرآن وشارحةٌ له، تُفصِّلُ ما أجمل، وتُفسِّرُ ما أشكل، وهما جميعاً نورٌ وضياء، يهتدي بنورهما أولو الألباب، وما فتى المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يدعو أمته للتمسك بهما، والرجوع إليهما حتى وافاه اليقين،

قال الله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١٥٣) الأنعام

وقال الله تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } [آل عمران: ٣٢]
 * ترتيب الوعيد على من يخالف أمر النبي - ﷺ -، وقال الله تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: ٦٣]

* نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله - ﷺ -، فقال الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب: ٣٦]
 * الأمر بالرد إلى الرسول - ﷺ - عند النزاع،

فقال الله تعالى: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } [النساء: ٥٩]

* وجعل الرد إلى الرسول - ﷺ - عند النزاع من موجبات الإيمان ولو أزمه، فقال الله تعالى { فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [النساء: ٥٩]
 ومن السنة قوله - ﷺ -:

وعن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال : " هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه " ثم قرأ (إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) الآية . رواه أحمد والنسائي والدارمي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله - ﷺ - : «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥١/١٣) برقم (٧٢٨٨) ومسلم

عن المقدم بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ - : قال «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» معنى ذلك ترك السنة- تحقيق الألباني : (سنن أبي داود) - صحيح ابن ماجه

(فعن أبي شريح الخزاعي قال : (خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : [أبشروا] أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قالوا بلى قال إن هذا القرآن [سبب] طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا) رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد - قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه : صحيح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي و لن يتفرقا حتى يردها علي الحوض) رواه الحاكم قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٩٣٧ في صحيح الجامع وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال : (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ " قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : " اللهم اشهد اللهم اشهد " ثلاث مرات) عن جابر

بن عبد الله رضي الله عنهما رواه مسلم وأبو داود والنسائي

وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال :

أوصيكم بنقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح

العامل الرابع: الإستقامة على دين الله والإستمرار على ذلك:-

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [سورة فصلت]

وقال تعالى: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [(٢٧) سورة إبراهيم]

فهذا وعدٌ من الله أن يحفظ ويثبت الملتمزمين بالطاعة، والمحافظين على فعل ما جاءت به الشريعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إن الاستمرار على فعل الطاعات وترك المحرمات، والعمل بما يُوعظ به المرء أمرٌ عزيزٌ على النفس، ويحتاج إلى مُجاهدة وترويض، لكنّه في النهاية عاملٌ مهمٌّ في الثبات قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْرَبُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا} [(٦٦) سورة النساء]]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " يقول الله تعالى في الحديث القدسي (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه) . رواه البخاري

أمّا الكسالى والمفرطون، والذين يُقدّمون على الطاعة حيناً ويتهاونون فيها حيناً آخر، فهؤلاء على خطر، وهل يضمنون أنفسهم أن يهجم عليهم الموت في حال تفريطهم، فيُختم لهم بسوء الخاتمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاحرص أخي المسلم على استدامة الطاعة؛ لأنك لا تدري متى الرحيل؟ واعلم أنّ من هدى النبي - ﷺ - المداومة على عمل الصالحات، وإن كانت قليلة.

العامل الخامس: الدعاء والإلحاح على الله بالثبات: فكما أنّ الدعاء سبب للهداية أصلاً، فهو عاملٌ للثبات ثانياً، وإذا كانت القلوب هي أوعية الهداية، أو هي السبب في الغواية، فهي بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبها كيف شاء،

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت كان أكثر دعائه الله ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل له في ذلك؟ قال: إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام و من شاء أزاغ (الترمذي و الحاكم) عن أنس (الترمذي) عن أم سلمة وعن شهاب الجرمي (الحاكم) عن جابر .

تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٧٩٨٧ في صحيح الجامع .
وفي رواية من حديث أنس قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " فقلت : يا نبي الله أما بك وبما جنّت به فهل تخاف علينا ؟ قال : " نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلّبها كيف يشاء " . رواه الترمذي وابن ماجه (صحيح)

وكان يدعو ربه ويسأله الثبات، فيقول: ((اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد))
أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٣٥/٧ - ٣٣٦)، ومن طريقه: أبو نعيم في "الحلية" (٢٦٦/١)، وكذا ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٢٧/١٦)
فألحوا على الله بذلك معاشر المسلمين، ولا سيما في أوقات الإجابة، نسأل الله ألا يُزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمةً إنّه هو الوهاب.

العامل السادس: الالتفاف حول العلماء الصالحين، والدعاة الصادقين: الذين يُثبّتون الناس حين الفتنة، ويُؤمّنونهم حين الخوف والرهبّة، أولئك مصابيح الدجى، يُحيي الله بهم قلوب العباد، ويطمأننهم على الطريق القويم بسببهم أمم وأقوام، كادوا أن يقعوا في الهاوية قال عليه الصلاة والسلام: [إِنَّ مِنْ النَّاسِ

مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ [رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم، وانظر السلسلة الصحيحة].
 فالبحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين من أهل السنة والجماعة، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات . وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت الله فيها المسلمين برجال، وتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن دور شيخه شيخ الإسلام في التثبيت: 'وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاعت بنا الأرض أتيناها، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه؛ فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة وبقيناً وطمانينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها ' الوابل الصيب، وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت، فأخوانك الصالحون والقنوات والمربون هم العون لك في الطريق، والركن الشديد الذي تأوي إليه؛ فيثبتوك بما معهم من آيات الله والحكمة؛ فالزمهم وعش في أكنافهم، وإياك والوحدة فتخطفك الشياطين، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية
 قال الله تعالى {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّأَوْا بِهٖ وَلَوِ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} النساء آية (٨٣)
 عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ (النجوم أمانة للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد و أنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) (أحمد ومسلم)

وعن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال : " المرء مع من أحب " . متفق عليه
 وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي. وقال النووي : إسناده صحيح
 وهل نسى المسلمون دور أبي بكر -رضي الله عنه- في الردة؟ أو يتناسى المؤمنون موقف الإمام أحمد يوم المحنة؟ وهكذا يكون دور الأخيار في تثبيت المسلمين، فالزموا صحبتهم، واطلبوا نصحتهم، وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت، فأخوانك الصالحون هم العون لك في الطريق، والركن الشديد الذي تأوي إليه، فيثبتونك بما معهم من آيات الله والحكمة، فالزمهم وعش في أكنافهم، وإياك والوحدة فتخطفك الشياطين.

العامل السابع:- صحة الإيمان وصلابة الدين: إن الإيمان له قوته الإيجابية التي تعمل على تنمية المشاعر وتنقيتها، وأن القوة الإيمانية تترك بصماتها على الفرد والجماعة، وعلى سائر اتجاهات السلوك الإنساني، ومتى صح الإيمان ورسخت حلوته في قلب المؤمن رزقه الله الثبات في الأمر، وكلما كان قوياً في إيمانه، صلماً في دينه، صادقاً مع ربه، كلما ازداد ثباته، وقويت عزيمته، قال الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [٢٣] سورة الأحزاب] وقال -ﷺ-: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)).

العامل الثامن :- الثقة بالطريق بعد الثقة بالله تعالى :كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم، كان ثباته عليه أكبر، ولهذا وسائل منها :

١- استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداً، ولا وليد زمانك، وإنما هو طريق عتيق قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون؛ فتزول غربتك، وتتبدل وحشتك أنساً، وكأبتك فرحاً وسروراً؛ لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج .

٢- الشعور بالاصطفاء، قال الله عز وجل: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} الله [٥٩]
 { سورة النمل } وقال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا [٣٢] { سورة فاطر . } وقال الله تعالى:

(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ [٦] {سورة يوسف. وكما أن الله اصطفى الأنبياء فالصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء، وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء... ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك، وأن جعلك داعية من أهل السنة والجماعة؛ من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟ قال العلامة السعدي رحمة الله عليه في تفسير قول الله تعالى (فالله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام: ١٢٤] أصلاً وفرعاً.

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله في قول الله تعالى:- {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} الحديد- أي ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين بالله ورسله فضل الله في أنهم آمنوا بالله وآمنوا برسله واتبعوا الرسول صلى الله عليه وآله وعلى آله وسلم أثبوا بهذه الجنات، {يؤتيه من يشاء} المشيئة هنا مقترنة بالحكمة، يعني من كان أهلاً للفضل آتاه الله الفضل، ومن لم يكن أهلاً له لم يؤته، والدليل قول الله - تبارك وتعالى -: {الله أعلم حيث يجعل رسالته} فلن يجعل رسالته إلا فيمن هو أهل لها، وقال الله - عز وجل - {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم} وقال - عز وجل -: {فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون} فلا تظن أن الله يعطي الفضل لمن شاء بدون سبب، لا بد من سبب، فمتى علم الله في قلب الإنسان خيراً آتاه الخير، قال الله تعالى: {يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم - الكتاب : تفسير العلامة محمد العثيمين
لاتغتر بكثرة الهالكين ولا تحزن بقلة السالكين

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال : " عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط والنبي وليس معه أحد فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى في قومه ثم قيل لي انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل : هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً قدمهم يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال " اللهم اجعله منهم " . ثم قام رجل فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال سبقك بها عكاشة . متفق عليه .
تستوحش من الطريق ولك سلف .

العامل التاسع ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل: النفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل، ومخلصة النفس من العذاب؛ فيها تتفجر الطاقات، وتتجز المهمات: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ [١٥]} {سورة الشورى... والدعوة إلى المنهج الصحيح- ببذل الوقت، وكذ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل - تقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة . زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين، وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي؛ فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه، فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه، وبمهارته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه .

العامل العاشر:- تدبر القرآن والعمل به: فالقرآن الكريم وسيلة التثبيت الأولى للمؤمنين، ولقد أنزل الله القرآن العظيم منجماً مفصلاً، وجعل الغاية منه هي التثبيت لقلب النبي ﷺ، قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} [سورة الفرقان (٣٢)]

وأخبر بأنه أنزل هذا الكتاب تثبيتاً للمؤمنين، وهداية لهم وبشرى، فقال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [سورة النحل: (١٠٢)].
 إن القرآن الكريم أعظم مصدر للتثبيت؛ لأنه يزرع الإيمان ويقوي الصلة بالله، كما أنه العاصم من الفتن، وكيد الشيطان وغوايته، كما أنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع على ضوئها أن يُفهم الأوضاع التي من حوله تقيماً صحيحاً، كما أن القرآن بما اشتمل عليه من أحكام وأصول وقواعد وحكم وقصص، يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين، ومن سار على دربهم، فإن غم ذلك كله لزم على من أراد الثبات في الدنيا والآخرة والفوز بالنعيم المقيم، أن يتخذ القرآن سميره وأنيسه، وأن يجعله رفيقه وجليسه على مر الليالي وتتابع الأيام، فلا يقتصر على النظر فيه، بل يحمل نفسه على العمل به.

العامل الحادي عشر:- الصبر والتصبر عند نزول المصائب والمحن وعند الأمور كلها

إن الصبر من أعظم الأمور والعوامل المعينة على الثبات، ذلك أن الصبر هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن الشكوى، والجوارح عن التشويش، فالصبر إذن أعظم مظهر من مظاهر الثبات، ولقد أمرنا الله تعالى به فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [سورة البقرة: (١٥٣)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣) }

قال الإمام بن كثير رحمة الله عليه :- العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر. فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي: في خسارة وهلاك، { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، { وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ } وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، { وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ } على المصائب والأقذار، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

فائدة ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعاً وذلك لعظمة موقعه في الدين قال بعض العلماء كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة أولها المحبة قال (والله يحب الصابرين) والثاني النصر قال الله تعالى (إن الله مع الصابرين)
 والثالث غرفات الجنة قال الله تعالى (يجزون الغرفة بما صبروا)

والرابع الأجر الجزيل قال الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)
 والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ففيها البشارة قال وبشر الصابرين والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

والصابرون على أربعة أوجه صبر على البلاء وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع وصبر على النعم وهوتقيدها بالشكر عدم الطغيان وعدم التكبر بها وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام .
 أَمَّا الصَّابِرُونَ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِالْبُشْرَى فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللَّهِ ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا ، وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِمْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَيَّ إِنَّهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَمُلْكُهُ ، وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .
 "والصبر ضياء "

إذا استحكمت الأزمان وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط. والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولا بد أن يبنى عليها أعماله وأماله وإلا كان هازلاً.. يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره

دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة، يجب أن يظل موفور الثقة بادي الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعثها أخرى وأخرى، بل يبقى موقنا بأن بوارد الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين . وقد أكد الله أن ابتلاء الناس لا محيص عنه، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة، فلا تذهلهم المفاجآت ويضرعوا لها . (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) .

وذلك على حد قول الشاعر: عرفنا الليالي قبل ما نزلت بنا فلما دهتنا لم تزدنا بها علما ! ولا شك أن لقاء الأحداث ببصيرة مستنيرة واستعداد كامل أجدى على الإنسان، وأدنى إلى إحكام شئونه. قال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) . * * * والصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين: أما الأولى فتتعلق بطبيعة الحياة الدنيا، فإن الله لم يجعلها دار جزاء وقرار بل جعلها دار تمحيص وامتحان، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل في امتحان آخر، قد يغير الأول مغايرة تامة، أى أن الإنسان قد يمتحن بالشيء وضده، مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمى في الماء . وهكذا .

يُنَبِّئُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَوْلَاءِ الصَّابِرِينَ ، وَيُخَبِّرُ بَأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نَزُولِ الْمُصِيبَةِ ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، وَإِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وَأَنَّهُمْ اسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللَّهِ فَلَمْ يَسْتَحْوِذِ الْجَزَعُ عَلَيْهِمْ .

وقال تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (١٤٢) } وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) [آل عمران/١٤٢، ١٤٣] وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَيَمْحِصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إِيْمَانِكُمْ ، وَيَرَى مَنْ يَسْتَجِيبُ لِلَّهِ ، وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ

العامل الثاني عشر:- اليقين والرضا بقضاء الله وقدره: إن اليقين والرضا بقضاء الله وقدره من أعظم الأسباب المعينة على الثبات، ذلك أن اليقين هو جوهر الإيمان، وإن مما لا شك فيه أن اليقين والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره من أقوى الدعائم والعوامل المعينة على الثبات

العامل الثالث عشر:- من عوامل الثبات على الدين: ترك المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها: فإن الذنوب من أسباب زيغ القلوب، فقد قال -ﷺ- فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه:- ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)) وقال -ﷺ- عن الصغائر: ((إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم؛ لأن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه)).

العامل الرابع عشر:- نصر دين الله ونصر أوليائه: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [(٧) سورة محمد] ونصر دين الله تعالى وأوليائه يكون بطرائق عديدة لا يحدها حد ولا تقف عند رسم، فالدعوة إلى الله بجميع صورها نصر لدين الله، وطلب العلم نصر لدين الله، والعمل بالعلم نصر لدين الله، وجهاد الكفار والمنافقين والعصاة نصر لدين الله، والرد على خصوم الإسلام، وكشف مخططاتهم نصر لدين الله، والبذل في سبيل الله، والإنفاق في وجوه البر نصر لدين الله، والذب عن أهل العلم والدعوة وأهل الخير والصحة نصر لدين الله، وطرائق نصر دين الله وأوليائه كثيرة، جعلني الله وإياكم منهم، من أوليائه وأنصار دينه، ولا تحقرن من هذه الأعمال شيئاً، فقاعدة الطريق: ((اتق النار ولو بشق تمرة)) قال ابن القيم -رحمه الله:-

لا للكفاية بل على الأعيان
فبالتوجه والدعاء بجنان

هذا ونصر الدين فرض لازم
بيد وإما باللسان فإن عجزت

العامل الخامس عشر: -كثرة ذكر الله تعالى، كيف لا؟ وقد قال سبحانه: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [سورة الرعد] وقال -ﷺ-: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)) وقد أمر الله تعالى عباده بالإكثار من ذكره، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [سورة الأحزاب] فذكر الله كثيراً، وتسبيحه كثيراً سبباً لصلاته سبحانه وصالته ملائكته التي يخرج بها العبد من الظلمات إلى النور، فيا حسرة الغافلين عن ربهم، ماذا حرموا من خيره وفضله وإحسانه؟.

العامل السادس عشر من عوامل الثبات على الدين: ترك الظلم، فالظلم عاقبته وخيمة، وقد جعل الله التثبيت نصيب المؤمنين والإضلال حظ الظالمين، فقال -جل ذكره-: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [سورة إبراهيم] فاتقوا الظلم أيها المؤمنون، اتقوا ظلم أنفسكم بالمعاصي والذنوب، واتقوا ظلم أهليكم بالتفريط في حقوقهم والتضييع لهم، واتقوا ظلم من استرعاكم الله إياهم من العمال ونحوهم، فإن الظلم ظلماً يوم القيامة.

العامل السابع عشر: التأمل في قصص الأنبياء، وأخذ الدروس والعبر منها، قال الله تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [سورة هود] تأمل قوله تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ} [سورة الأنبياء] قال ابن عباس: كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، ألا تشعر بمعنى من معاني الثبات أمام الطغيان والعذاب، يدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة، وهذا موسى -عليه السلام- في وقت ملاحقة الظالمين له يقول أتباعه: {إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [سورة الشعراء] ثبات في لحظات الشدة وسط صرخات اليائسين.

العامل الثامن عشر: الثقة بنصر الله وأن والتمكين لهذا الدين: وقد كان الرسول -ﷺ- يثبت أصحابه المعذبين، ويخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن،

التمكين للمؤمنين أو الوعد لهم بذلك، قال سبحانه عن أصحاب موسى عليه السلام: ؟وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها؟ [الأعراف: ١٣٧]، وقال في سورة القصص [٥ - ٦]: ؟ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض؟، وقال لأصحاب محمد ﷺ والذين يأتوا من بعدهم: ؟وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأمر كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً؟ [النور: ٥٥]، وقال في سورة الحج [٤١]: ؟الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور؟.

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا: إلا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه وقال: " كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بمنشار فيوضع فوق رأسه فيشق بأتنين فما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " .
رواه البخاري ، وأحاديث كثيرة تبشر بنصرة هذا الدين، فما أشد الحاجة لها في أوقات الفتن، فإنها من أهم
عوامل الثبات على الإسلام، فعرض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهم في تربيتهم
على الثبات.

محاضرة : الثبات على السنة لشيخنا العلامة ربيع السنة : أبي محمد ربيع بن هادي عمير المدخلي
فقال : وهناك أمثلة للثبات على الحق وأروع الأمثلة : ثبات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأصحابهم الذين
اهتدوا بهداهم وخيرهم أصحاب محمد ﷺ ؛ فكل من صحب الأنبياء فله فضل على من بعدهم من أمة ذلك
النبي ﷺ وأصحاب محمد ﷺ أفضل هذه الأمة ؛ أفضل من كل من جاء بعدهم فلو أنفق أحدنا مثل أحد ذهباً ما
بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه وفاقوا في الفضل من سبقهم . قال تبارك وتعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..) (آل عمران : ١١٠) فهم أفضل الناس بعد الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام ، ولا سيما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم- . فهؤلاء
ضربوا أروع الأمثلة للثبات : في مكة كانوا يُعذَّبون ويُشردون ويُؤذون ويُقتل بعضهم كما حصل لأبي
عمار (ياسر) وأمه سمية قتيلاً صبرا على التعذيب وثباتاً وثباتاً .. حتى قُتِلَا -رضي الله عنهما- .
وثبت بلال -رضي الله عنه- كان يُذهب به إلى بطحاء مكة في شدة الحر وتلقى الصخرات الملتهبة على
صدره وهم يضربونه ويُؤذونه ويُسلطون عليه الصبيان يسخرون به وهو ثابت يقول : أحدٌ أحدٌ ؛ الله وحده
لا شريك له ، لا اللات ولا العزى .

وكم لاقوا من الأذى ؛ فرسول الله ﷺ لاقى من الأذى الشديد في مكة أدته قريش حتى أمر طغاتهم بالقاء
سلى الجزور على رقبتة وهو ساجد ﷺ . وأبو بكر الصديق أدوه حتى خرج مهاجراً -رضي الله عنه-
فرجع في ذمة ابن الدغنة ، وكان -رضي الله عنه- يقرأ القرآن فيتصّف عليه النساء والصبيان فخافت
قريش على نسائهم وأبنائهم أن يدخلوا في دين الله الحق !! فيمنعونه من الصلاة ويطلبون من هذا الرجل
الذي أدخله في ذمته أن يسكته أو يخرج من ذمته !!
فيقول لأبي بكر : إِمَّا أَنْ تُرْجَعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي وَعَهْدِي وَشَأْنُكَ وَإِمَّا أَنْ تَقِفَ وَتَتْرَكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ . فقال
أبو بكر -رضي الله عنه- : أنا أريد ذمّك وأبقى في ذمة الله سبحانه وتعالى .
وصبروا دهرًا على الأذى الشديد فما غيروا ولا بدّلوا ، وما كان أحدٌ منهم يرتدّ سُخْطَةً لدينه كما ذكر ذلك
أبو سفيان -رضي الله عنه- في حديثه المعروف مع هرقل ، لمّا سأله : من هم أتباع محمد هل هم ضعفاء
الناس أم أشرفهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . فقال هرقل : هم أتباع الأنبياء !
وهل يرتدّ أحدٌ منهم سُخْطَةً لدينه ؟ قال : لا) الحديث .

فالصّحابة -رضي الله عنهم- رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .
فهاجروا إلى الحبشة وهاجروا إلى المدينة صابرين محتسبين ؛ فصبروا وصابروا وربطوا وجاهدوا إلى
أن مات رسول الله ﷺ فارتدّ أكثر العرب فثبتوا وصبروا وواجهوا الردّة حتى قُضِيَوا عليها . وكان على
رأس الثابتين أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فقال : والله لو منعوني عناقاً -أو عقالاً- كانوا يُؤدُّونه إلى
رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه . وقد كان عارضه بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- في قتال المرتدين
، فقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- : والله لو منعوني عناقاً -أو عقالاً- كانوا يُؤدُّونه لرسول الله ﷺ
لقاتلتهم عليه . واقتنع الصحابة -رضي الله عنه- برأيه الشديد فقاتلوا وثبتوا وقاتلوا وقاتلوا حتى أعاد الله
هؤلاء الذين ارتدوا إلى حضيرة الإسلام ثم اندفعوا جميعاً إلى الفتوحات وهم ثابتون يتسابقون إلى مرضاة
الله والشهادة في سبيل الله يبذلون مهجهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعلاء كلمة الله فهم أمثلة رائعة للثبات
على الإسلام إلى الممات -رضي الله عنهم- وصبر غيرهم من الأئمة الذين واجهوا شيئاً من الأذى ؛ فهذا
أحمد بن حنبل -رحمه الله- واجه صنوف الأذى في دولة المأمون والمعتمد والواثق إذ تغلب الجهمية

والمعتزلة على الدولة وأمسكوا بزمام الأمور وقادوا الخلفاء إلى أهوائهم وضلالاتهم وكفرياتهم فإنّ القول بأنّ القرآن مخلوق كفر بالله لأنّه طعن في الله وفي كتابه وفي رسوله ﷺ فكفرهم السلف ، أرادوا أهل السنة على أن يقولوا بأنّ القرآن مخلوق فأبوا فعدّبوهم وشرّدوهم وقتلوا منهم ما قتلوا وضعف القليل منهم والبقية صمدوا وعلى رأسهم الإمام أحمد --رضي الله عنه- فقد ضرب ضرباً يهدّ الجبال ولكنه ما تززع ولا انتكس ولا تأثر بل ظلّ صامداً كالجبل الأشم تداوله ثلاثة خلفاء حتى أتى الله بالفرج وأعلى كلمة الحقّ ونكّس أعلام أهل الباطل فذهبوا هباء منثوراً وأعلى الله السنة وأعزّ أهلها وأكرمهم في زمن الخليفة المتوكل -رضي الله عنه- وجزاه الله عن الإسلام ونصرة السنة خير الجزاء .

وابن تيمية -رحمه الله- كذلك واجه صنوفاً من الأذى وسجن مرات ومات في السجن وكان يجاهد لأعلاء كلمة الله واجه الفرق كلها : فرق الفتن والضلال من اليهود والنصارى والملاحدة والزنادقة والصوفية الخرافيين والروافض ، وخاض كل ميدان لإعلاء كلمة الله ونصرة سنة رسول الله ﷺ فنصره الله على ضلالاتهم وأصولهم الباطلة كما قال تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) (الإسراء: ٨١) وقد آذوه رغم جهاده العلمي وجهاده بالسيف يكيدون له شتى المكائد فإذا قابله خضعوا وذلوا الحكام والمحكومين وإذا خرج تأمروا عليه وسجن سنين فصبر وثبت حتى لقي الله تبارك وتعالى وهو في السجن .

والأمثلة كثيرة في الإسلام للثابتين الصادقين حتى قبلنا -قبل هذه الأمة- كان هناك من تحفر له الأرض ويشقّ نصفين لا يصدّه ذلك عن دينه .

هذه الأمور أمثلة للمؤمنين الصادقين تحفرهم على الاستقامة والثبات فلا تضرّهم كثرة الهالكين ولا قلة المستقيمين الثابتين على الحق والجماعة مع من كان على الحق كائناً من كان ولو كان وحده لو أنّ الناس كلهم اجتمعوا على الباطل وأنت على الحق فأنت على الحق وأنت الجماعة فلا يغرّتك كثرة الزبد فإنّما هم غثاء كغثاء السيل كما قال رسول الله ﷺ ، أهل البدع والله غثاء غثاء أهل الباطل والله غثاء والناس هم أهل الحق ولو كانوا قلة ولو كانوا في غاية الغربة .

اثبتوا يا عباد الله وقد يأتي الدجال بفتنته: عنده فتن وشبه عنده أشياء تخلب الأبواب -والعياذ بالله- يقول للأرض انبثي فتنبت ... يفعل الأفاعيل . ومكتوب على وجهه كاف فاء راء (أي كافر) ؛ فمن أراد الله له الضلال يتبعه من الغثاء ومن أراد الله له الثبات يثبت ... ويكون أشدّ الناس عليه كما قال رسول الله ﷺ : (أشدّ الناس على الدجال بنو تميم) ... الدجال ولعلّ هذا -إن شاء الله -من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وما حصل للشباب من الشبهات في هذا الوقت نسأل الله أن يبدها ، الشبهات الكثيرة الكثيرة التي قذفها أهل الأهواء والبدع في أبناء هذه البلاد فكم قذفوا من الشبهات والشهوات والفتن وخدعوا كثيراً من الشباب وخدعواهم وأخذوهم من صغرهم :

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى * * * فصادف قلباً خالياً فتمكنا

نسأل الله أن يطهر قلوبهم من هذه الشبهات ومن هذه الفتن والشهوات وأن يعيدهم إلى حظيرة السنة

أبو عبدالكريم علي بن سالم المحني -اليمين الحديدية - القطيع - جامع الأنصار لتعليم الكتاب والسنة

تلفاكس ٣١٥٢٨٧ ٧٧٧٢٩٣١٥٨ - ٧١١٤٢٠٠١٥

ali_mahany@hotmail.com